المحاضره الحاديه عشر (مشكله الانتحار)

تعريف الانتحار وطبيعته :

من الجوانب الجديرة بالاهتمام عند دراسة الانتحار تحديد مفهومه فقد اتجه الباحثين الى وضع تعريف الانتحار من خلال تأكيدهم على عنصر المعرفه وإدراك النتيجة الناشئة من فعل يؤدى الى الموت .

عرف دور كايم Durkheim عام ١٩٨٧ الانتحار بأنه (كل حالات الموت التي تنتج بصوره مباشره او غير مباشره عن فعل ايجابي او سلبي يقوم به الفرد وهو يعرف ان هذا الفعل يصل به الى الموت) .

كما ذهب بعض الباحثين في تعريفهم للانتحار الى التمييز بين نوعين من الانتحار هما :

الانتحار الحقيقي : أي الموت الجسدي فقد عرفه (وليم الخولى ١٩٧٦) بأنه قتل الانسان لنفسه عمدا .

الانتحار النفسي : وقصد به نوع من الانتحار غير الصريح حيث يزهد البعض بالحياة تماما ويبغضونها وتدفعهم عوامل اليأس الى تدمير انفسهم فيصابون بحالات مرضيه .

وبنظره فاحصه لمجموعه التعريفات السابقه نجد انها تشير الى ان الانتحار فعل او حدث منفرد إلا ان بيك وآخرين رفضوا ذلك وأشاروا الى ان الانتحار ليس حدثا منعزلا بل هو عمليه معقده وبينوا ان السلوك الانتحاري يمكن تصوره باعتباره واقعا متصل لقوه كامنة تشمل تصور الانتحار .

ثم التأملات الانتحارية تليها محاوله الانتحار وأخيرا اكمال هذه المحاوله الانتحارية .

ويتفق (بونر وريتش) مع ما اشار اليه بيك وآخرون في ان السلوك الانتحاري عمليه دينامية معقده بدلا من كونه حدثا منعزلا ثابتا فقد عرفا السلوك الانتحاري بأنه عمليه مركبه من مراحل مختلفة تبدأ بتصوير الانتحار الكامن وتتقدم خلال مراحل من تأمل الانتحار النشط ثم التخطيط للانتحار النشط وفي النهاية تتراكم محاولات انتحار نشطه لدى الفرد .

يتذبذب مركز الفرد في هذه العمليه وفقا لتأثير العمليات البيولوجيه والنفسية الاجتماعية .

معدلات انتشار الانتحار :

ان الانتحار ظاهره واسعة الانتشار بين المراهقين والراشدين فالاتجاه المرضى لزيادة معدلات الانتحار بالنسبة للشباب تم تسجيله على نحو جيد على مر السنوات القليله الماضيه واتضح ان معدل الانتحار بين اولئك الذين يقعون في المرحله من ١٥ الى ٢٤ سنه قد تضاعفت ثلاث مرات تقريبا في العشرين سنه الاخيرة .

وهناك عدم دقه في التقديرات الاحصائية عند رصدها لمحاولات الانتحار لأسباب عديدة منه ان كثيرا من حالات الانتحار لا تسجل في المستشفيات اضف الى ذلك ان نسبه كبيره من حوادث الانتحار يتم تسجيلها على انها حوادث طارئة .

مما سبق يتضح ان اهميه المشكل لا تعنى مجرد الانتشار المرتفع للظاهرة ذلك لان النظريه السيكولوجيه كما يشير احمد فائق ١٩٨٤ تتضمن العمليه المرضيه في الفرد .

دون ان تضم في ثناياها كيفيه انتشار هذه الظاهرة وبالتالي فان الانتشار بح ذاته ليس هو المعيار الحقيقي لأهمية المشكله وإنما تكمن المشكله في كيفيه هذا الانتشار خاصة اذا وجدنا ان ظاهره الانتحار لانتشار بين الفئات العمريه وإنما تتركز اكثر ما تتركز في الفئات العمريه من ١٥ – ٢٥ سنه وفي العشرينات من العمر بوجه خاص وهي فئة الشباب بكل ما تمثله من قوه لبناء المجتمع وما تمثله ايضا من مستقبل لهذا المجتمع .

الفروق بين الجنسين في الانتحار :

اهتمت بعض الدراسات بفحص الفروق بين الجنسين في تصور الانتحار ولم تتوقف هذه الدراسات عند التوصل الى نتيجة ان تصور الانتحار يتباين باختلاف الجنس ام لا وإنما حاولت التعرف الى الفروق القائمه بين الجنسين في محاولات وطرق الانتحار الناجحة كما حاولت ايضا التعرف الى الفروق بين الجنسين في العلاقة بين اليأس والانتحار

وعن الفروق بين الجنسين في محاولات الانتحار وطرق الانتحار الناجحة يشير ريتش وزملاؤه الى ان الذكور اكثر دافعيه في محاولات الانتحار الناجحة من الاناث .

اما بالنسبة للفروق بين الجنسين في قوه العلاقة بين اليأس والانتحار فقد توصل كول الى ان اليأس متعلق بالانتحار بشكل مباشر لدى الاناث بشكل اكبر منه لدى الذكور وقد ارجع ذلك لوجود بعض العوامل الادراكية التي قد تمثل حاجزا معرفيا بين اليأس والسلوك الانتحاري وتشمل هذه العوامل الاعتقاد بان احداثا خارجية مثل ترك المنزل والتحرر من الحكم الوالدي وأتاحه الفرصه للاستقلال .

وكذلك ترك المدرسه بما تحمله من ضغوط اكاديمية وهذه العوامل اكثر فعاليه لدى الذكور منها لدى الاناث .

عوامل المخاطره للانتحار :

ان معرفه عوامل المخاطره للانتحار تمكننا من الوقاية منه وذلك لان الانتحار يعتبر السبب الرئيسي الثالث للموت بين المراهقين والراشدين في الولايات المتحدة الامريكية ممن تتراوح اعمارهم بين ١٥ – ٢٤ سنه .

وفيما يلي نلقى الضوء على عوامل المخاطره التي كشفت عنها الادبيات الاجنبية :

١- العوامل البيولوجيه : اشار التراث النظري والدراسات السابقه الى ان شذوذ في تظلم السيروتونين مرتبط بالانتحار وكذلك بالاندفاعية والعدوان .

٢- المشكلات الطبنفسيه : كشفت الادبيات الاجنبية في مجال الطب النفسي ان الغالبيه العظمى من الشباب الذين اكملوا الانتحار كانت لديهم مشكلات طبنفسيه هامه .

٣- العوامل المعرفيه : يعتبر اليأس من اهم العوامل المعرفيه الكامنة وراء سلوك الانتحار وبناء على ارتباط اليأس بالانتحار لدى الراشدين فقد تم التسليم بوجود علاقة مماثله بالنسبة للأطفال والمراهقين .

وقد اتضح ان اليأس مرتبط بالانتحار الكامل لدى الشباب كما ثبت انه لابد ان يتوسط الاكتئاب العلاقة بين اليأس والانتحار وخاصة لدى الشباب الذكور .

٤- العوامل الاسرية : تلعب العوامل الاسرية دورا هاما في مخاطره الانتحار فقد اتضح ان وجود تاريخ لسلوك الانتحار في الاسرة يزيد بشده من مخاطره الانتحار المكتملة لدى بعض افرادها .

هذا فضلا عن ان الاضراب السيكوباثولوجي لدى الوالدين يمكن ان يزيد من مخاطره الانتحار لدى الابناء والسبب في ذلك غير معروف حتى الان ولكنه قد يعكس عملا وراثيا .

كما يلعب الانفصال بين الوالدين او الطلاق دورا هاما في سلوك الانتحار وخاصة اذا توسط تلك العلاقة وجود اضطراب سيكوباثولوجي لدى الوالدين .

٥- احداث الحياة الضاغطة : اشار التراث النفسي في مجال الانتحار الى وجود ارتباط جوهري بين ضغوط الحياة كالفقد الشخصي المتبادل (مثل انهاء علاقة مع رفيق او رفيقه) والمشاكل القانونيه وبين الانتحار .

كما تم تقرير ضغوط نوعيه مختلفة تتفق وطبيعة الاضطراب لدى ضحايا الانتحار .

٦- العدوى : ثمة دليل جدير بالاعتبار على ان قصص الانتحار التي تنشر في وسائل الاعلام والتي تشمل مقالات الانتحار والتقارير الاخبارية في التلفزيون والمسرحيات القصصيه تتبعها زيادة جوهريه في عدد محاولات الانتحار .

٧- العوامل البيئيه الاجتماعية : تتمثل تلك العوامل في الوضع الاجتماعي الاقتصادي وقد قرر جولد وزملاؤه ١٩٩٦ ان هناك تأثيرا عرقيا فارقا في المقارنه بين ضحايا الانتحار لدى الامريكيين من اصل افريقي اكبر بشكل جوهري من امثالهم في المجتمع العام .

التوجهات النظريه المفسره للانتحار :

تتعدد اسباب الانتحار ويرجع ذلك الامر الى اختلاف التوجهات النظريه التي اهتمت بتفسير ظاهره الانتحار وأسبابها وعوامل نشأتها .

وسوف نوضح التفسيرات النظريه لظاهره الانتحار على النحو التالي :

اولا : التفسيرات النظريه .

تفسيرات نفسيه ذات اتجاه تحليلي .

ينظر المحللون النفسيون للانتحار باعتباره ظاهره نفسيه .

داخليه وباعتباره راجعا الى اضطراب العلاقات البينشخصيه .

وفيما يلي التفسيرات التحليليه للانتحار :

أ- الانتحار باعتباره ظاهره نفسيه داخليه :

وهنا يتم تفسير الانتحار على اساس وجود الم نفسي لا يحتمل ويكون هذا الالم شعوريا فحينما يكون الموقف غير محتمل ويريد الشخص اليائس ان يخرج منه فيلجأ الى الانتحار .

كما يفسر الانتحار طبقا للتعبيرات غير المباشره .

فالشخص الانتحاري يتسم بثنائيه الوجدان ليس بالنسبة للحب والكراهية فحسب ولكن قد يكون هناك صراع بين البقاء والألم غير المحتمل ويخبر الشخص الانتحاري اذلالا وخضوعا وولاءا وطاعة او ضربا بالسياط .

وعلاوة على ذلك لا يكون الشخص شاعرا سوى بجزء من العقل الانتحاري وتكون القوى الحافزه للانتحار هي قوى لاشعورية الى حد كبير .

ب- الانتحار كاضطراب في العلاقات البينشخصيه :

ان الشخص الانتحاري لديه مشاكل في تأسيس علاقة بين شخصيه او الابقاء عليها فيوجد على نحو متكرر موقف بين شخصي غير محتمل (نكبه سائدة) .

وربما كان النمو الايجابي في تلك العلاقات المضطربة هو الحل الوحيد للاستمرار في الحياة ولكن مثل هذا النمو كان يرى باعتباره لم يحدث .

تفسيرات نفسيه ذات اتجاه غير تحليلي :

تتميز تلك التفسيرات عن التفسيرات التحليليه في انها لا تفترض وجود مجموعه من الديناميات النفسيه او سيناريو لاشعوري شامل ولكنها تؤكد على مظاهر نفسيه معينه تبدو ضرورية لوقوع حدث الانتحار المهلك .

وتتمثل تلك المظاهر في الاتي :

١- تشوش حاد أي زيادة في حاله الاستياء العامه لدى الفرد .

٢- عدائيه مرتفعه وزيادة في انكار الذات وكراهية الذات والإحساس بالعار والشعور بالذنب ولوم الذات .

٣- زيادة حادة وفجائية في انخفاض التركيز العقلي وتقليل عمليات التفكير وتضييق المحتوى العقلي وضعف القدره على رؤية اختيارات حيوية يمكن ان تحدث على نحو عادي للعقل .

٤- فكره التوقف والاستبصار الذي يمكن ان يضع نهاية للمعاناة بتوقف الانسياب غير المحتمل ويفهم الانتحار في هذا السياق ليس كحركة نحو الموت (او التوقف) ولكن يفهم كنوع من الهروب من انفعال لا يحتمل .

ثانيا : التفسيرات الاجتماعية للانتحار :

ان تناول ظاهره الانتحار باعتبارها ظاهره نفسيه بحته يجعل المشكله احاديه البعد وعزل الفرد كجهاز مغلق عن بقيه المثيرات الاجتماعية التي تحيط به والتي تؤثر فيه بما قد يدفعه الى السلوك الانتحاري كما يحدث لدى الكثيرين وعلى هذا الاساس قام علماء الاجتماع بتقديم تفسيرات اجتماعيه لظاهره الانتحار .

فقد ذهب اميل دور كايم الى ان ظاهره الانتحار اجتماعيه ترتبط اساسا بالنظام الاجتماعي وما يطرأ عليه من ظروف تغير مفاجئه او ما يجرى على الجماعات الاجتماعية .

وقد اقترح دور كايم اربعه انواع للانتحار جميعها تؤكد على قوه او ضعف علاقات الشخص او روابطه بالمجتمع .

فالانتحار الاناني يحدث حينما يكون للفرد روابط قليله جدا بالمجتمع ولم تحقق له مطالب الحياة .

ويحدث الانتحار الايثاري حينما تكون للشخص روابط اجتماعيه قويه جدا لدرجه انه يضحى بنفسه من اجل الجماعه .

ويحث الانتحار اللامعياري حينما تتحطم فجاه العلاقة المعتادة بين الفرد والمجتمع مثل وقوع صدمه او فقد مباشر للعمل او فقد صديق حميم او ثروة .

ويحدث الانتحار الجبري من تنظيم متزايد يفرض على الاشخاص مثل العبيد حين لا يرون بصيص امل للحرية في المستقبل .